ويحسن بالحكومة ان تنشئ معملاً بكتيريولوجياً في مكة كالمعمل الذي في الخرطوم وتعين له اطباء اختصاصيين . ولا نرى عدد المرضين والبوليس الصحي كافياً لو تفشت الكوليرا هناك ولا عدد الاطباء والاسرة في المستشفى فانهُ اذا روقبت الحوادث الاولى وفرز المصابون كلهم وكان ماء الشرب نقياً ابن انتشار الكوليرا دائماً كما دلَّ الاختبار في مواسم الحج ببلاد الهند

ويحسن بنظارة الاوقاف المصرية ان تبني مستشفى في مكة لمعالجة الحجاج المصريين وغيرهم فعندها مال كاف لذلك وحبذا لو بُنيت منازل صالحة للسكن خارج مكة تقوم بنفقة بنائها أوقاف المسلمين وينزل فيها فقراء الحجاج ويكونون تحت ملاحظة الحكومة . كل هذه الامور حرية بالنظر والعناية

مدارس الحكومة

وهي خطبة للاستاذ وليم هول رئيس القسم التجاري في المدرسة الكلية الاميركية ببيروت القاها باللغة الانكليزية امام جماعة من الادباء والافاضل في الشوير بلبنان

ان اولياء الامور في هذه السلطنة العظمى قد شعروا بان ترقية البلاد لا تقوم باستثمار المواد الطبيعية فقط بل لا بد ايضاً من اطلاق القوى العقلية الكامنة في هذه الامة العظيمة . فتصدير خيرات البلاد كالمعادن والغلال الى الاسواق الخارجية من الامور التي تستحق الاهتمام الشديد لكن تثقيف عقول الشبيبة بالعلم والادب اهم من ذلك وسيكون لزعماء النهضة الحديثة في هذه البلاد الحظ الاوفر في فتح خزائن العلم فانها اعلى قيمة من دفائن الارض

بدأ التاريخ الحديث بامرين عظيمين ايقظا اوربا من غفلتها كما تشاهد اليوم في اليابان والهند والصين وهما فتح القسطنطينية واكتشاف اميركا فنتج عن الاول ان علماء اليونان تشتتوا في اوربا وبثوا فيها روح العلم . واتَّسع نطاق المكونة باكتشاف اميركا فكثر ميل الناس الى السفر طلباً للكسب ورغبةً في الاكتشاف . واتَّفق ان عُرف فن الطباعة في ذلك العصر فكثرت الكتب واقبل الناس على مطالعتها وكان لا يقتنيها قبل ذلك الاَّ القسيسون والرهبان . وانتشر العلم بين الناس فزادوا تفكيراً وزادت احتياجاتهم بذلك فلجأوا الى الاختراع

ثم قام رجال كاللورد بأكن وغيره وقالوا ان العلم لا يقوم بدرس اللغات وقواعدها فقط بل بدرس العلوم الطبيعية ايضاً وان اللاتينية واليونانية لا تكفيان وحدهما لترقية العقل بل لا بد من المعامل التي تجري فيها الامتحانات العملية فانها تثقف العقل اكثر مما تثقفهُ خزائن الكتب بل ربما كان الناس في حاجة اليها اكثر من غيرها . فكان هذا القول اساساً بني عليهِ نظام التعليم في المدارس . ولم يكن للشعب في الاعصر الوسطى شأن في التعليم ولم يكن من سوغ لوضع الضرائب عليهِ للقيام بنفقات المدارس ولا لاجبار الاولاد ان يتعلموا فيها اذ ان مبدأ مدارس الحكومة التي تقوم الامة بنفقتها وادارتها يستوجب اجبار الاولاد ان يتعلموا فيها . لكنهم في ذلك الزمن لم يفكروا في وضع الضرائب وجمع المال الاَّ لتجهيز الجيوش وتركوا التعليم للرهبان والراهبات لان هؤلاء لم يكن لهم ما يشغلهم عنهُ . وكان الشعب يدفع اموالاً طائلة للكنيسة فتُرك لها امر التعليم . وبقيت الامور على هذه الحال الى ان اخذ الناس يفكرون في ان الكتب لا تكفي للتعليم بل لا بد من قرنها بالعمل والتجارب العلمية

ويجب ان لا ننسى فضل الرجال العظام الذين بدأوا في انشاء المدارس على الطرز الحديث مثل پستالوزي وفروبل وروسو وغيرهم وقد كان نصيبهم كنصيب غيرهم من المفكرين البعيدي النظر مخالفتهم معاصروهم وكفروا تعاليمهم لكن المبادىء التي وضعوها في ذلك الزمن هي التي تسير عليها مدارسنا الآن . وكان ملخص آرائهم ان التعليم لا يقوم بالاكثار من المعارف والعلوم بل باظهار القوى العقلية الطبيعية واعطائها ما يلزم لنموها . وهذا لا يشمل تعاليمهم كلها بل هو المحور الذي تدور عليهِ . ومن الاقوال المأثورة ان المعرفة قوة لكن المعرفة وحدها لا تكفي . فالقوة هي استعمال المعارف في استنباط نتائج جديدة . والفرق بين مدارسنا الآن وبين مدارس الاعصر الوسطى ان الذاكرة كانت ركن التعليم فيها فكانوا يعولون على اللغات وعلومها وربما اضافوا اليها قليلاً من العلوم الرياضية اما الآن فاننا ندرس كل العلوم على السواء لبعض العقول تثقف بالرياضيات وبعضها بالتاريخ وبعضها بالعلوم الاخرى فلا بد من ان نتعلمها كلها او نتعلم مبادئها على الاقل

اما سياق الدروس في هذه الايام فيجب ان يكون كما يأتي

١ اللغات . تختلف اللغات التي تدرس باختلاف البلاد فتكون في بلاد الانكليز مثلاً الانكليزية والفرنسوية واللاتينية واليونانية . اما في هذه البلاد السورية فيجب ان تكون العربية والفرنسوية والتركية

٢ الرياضيات . يُبدأ بالحساب البسيط ثم يرتقى في درس هذه العلوم حسب درجة المدرسة

٣ التاريخ . يبدأ بدرس اخبار الرجال العظام والحوادث الهامة ثم يعلَّم تاريخ البلاد والتاريخ العام والجغرافية السياسية

٤ العلوم الطبيعية . تدرَّس اولاً مبادئ العلوم الآتية ثم يتوسَّع فيها وهي الحيوان والنبات والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والفلسفة الطبيعية والكيمياء . ولهذه العلوم اهمية كبرى اذ بها يتعلم التلميذ ماهية الاشياء المحيطة به

٥ الفنون الجميلة . وهي تشمل الموسيقى وهندسة البناء وغيرها من الفنون

٦ الآداب . ويدخل تحت ذلك علوم الدين والفلسفة الادبية او الاخلاقية لان العلم لا يكون تاماً ما لم يصل الى الاساس الذي تبنى عليه الاخلاق

٧ علوم الصحة . وأعني بها العلوم التي من شأنها تحسين الجسم وحفظ الصحة وهي تشمل الهيجين والفسيولوجيا والرياضة البدنية

٨ التسم العملي . وقد ادخل ذلك حديثاً في سياق الدروس وهو يشمل الاعمال اليدوية كالنجارة والحدادة للصبيان وشغل الابرة والطبخ للبنات . ويشمل ايضاً مسك الدفاتر والكتابة المختزلة واستعمال الآلة الكاتبة وما اشبه

وقد قال هربرت وهو صاحب الرأي المعوَّل عليه الآن في طريقة التعليم على اساس عقلي ان غاية التعليم القصوى تدريب الارادة ليبنى عليها اساس الاخلاق ويتم هذا الامر بترقية الطبائع كلها وبدون ذلك لا يصير الفكر صائباً ولا تصير الارادة قوية والاخلاق كاملة . ولا ريب في ان الاخلاق الكاملة امرٌ لا يمكن الوصول اليه لكنهُ يجب علينا ان نضعهُ نصب اعيننا

ولمقتضى التربية في هذا الزمن ان يكون لكل ولد نصيب من الفهم يرثهُ من المعارف التي جمعها ترقي البشر على توالي الدهور وهذا الارث الذي لكل واحد نصيبٌ منهُ يزداد يوماً فيوماً وهو في ايامنا اعظم كثيراً مما كان في سالف الدهر . وما يرثهُ اولادنا من المعارف يكون اكثر كثيراً مما ورثهُ آباؤنا . والامور التي يجب على الولد معرفتها الآن ليتمكنهُ الخوض في معترك هذه الحياة اكثر كثيراً مما كان يحتاج اليه لو ولد منذ خمسين سنة . ولنضرب لكم مثالاً لذلك فان آباءنا كانوا يعرفون منها ان وضع قضيب من الفولاذ على سطح بيت وايصاله بالارض يحمي ذلك البيت من الصواعق وهذا جلُّ ما كانوا يعرفونهُ عن الكهربائية اما الآن فيجب على اولادنا ان يعرفوا منها التلغراف والتلفون واستعمالها لتوليد القوى المحرِّكة وغير ذلك

وما تقدم هو مثال من الثروة العقلية التي لكل ولد حق في ان ينال نصيباً منها وعلينا ان نجد طريقة للوصول الى اعطائه هذا الحق . فاذا توفي رجل عن ثروة مالية نظرت المحاكم الشرعية في تقسيم هذه الثروة بين ورثته وتكون في ذلك نائبة عن الحكومة . وكما تنظر الحكومة في توزيع الثروة المادية عليها ان تنظر ايضاً في توزيع الثروة العقلية وهي اكثر اهمية من الاولى لانهُ لم يجمعها شخص واحد بل جمعها الجنس البشري كلهُ وعلى الحكومة ان تقوم بتوزيعها على ابنائها كلهم . فلهذه الاسباب وضعت المدارس العمومية تحت سيطرة الحكومة وهي مسؤولة عنها امام الامة

ومن الامور المسلم بها ان التعليم بضع سنوات في المدارس لا يكفي لاعطاء كل ولد نصيبهُ من العلم فالمدرس يجب ان يلازم الانسان حياتهُ كلها وعلى المدارس ان تثقف العقل وتهيد قواهُ لذلك

اما مدارس الحكومة فقائمة على المبادىء الآتية

١ لكل ولد حق ان ينال نصيبهُ من الثروة العقلية التي هي ملك الجنس البشري من غير نظر الى الجنس واللون والثروة المادية والشرف الموروث وغير ذلك

٢ على الحكومة دستورية كانت او استبدادية ان تدبر الوسائل الفعالة التي تجعل الاولاد يتمتعون بحقوقهم في هذا الميراث ويقوم ذلك بانشاء المدارس العمومية ويكون عدد هذه المدارس كافياً والتعليم فيها متقناً . وقد عُلم بالاختبار ان هذه المدارس اكثر اتقاناً في الحكومات الدستورية منها في الاستبدادية

٣ من مصلحة افراد الامة جميعهم وليس الاباء فقط تعليم الاولاد لانهُ بالعلم يتسع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتسمو الآداب فتنتفع الهيئة الاجتماعية كلها بذلك ولا يقتصر النفع على آباء الاولاد

٤ اذا كانت الامة تنتفع بالتعليم العام واذا كان من واجبات الحكومة ان تقوم بنفقات هذا التعليم فللحكومة الحق ان تضرب الضرائب على الامة لقيام بهذه النفقات

٥ واذا فرض على الامة ان تقوم بنفقات التعليم وهو كلما زاد انتشاراً زادت فائدتها بهِ فلا بد من وضع قانون لجعلهِ اجبارياً فانهُ كلما زاد عدد المتعلمين زاد انتفاع الامة التي تقوم بهذه النفقة

ولملخص ذلك كلهِ ان على الحكومة ايجاد الوسائل الفعالة للتعليم المجاني وبما ان كل فردٍ من الامة ينتفع بهذا التعليم فعليهِ ان يشترك في نفقاتهِ وعلى الحكومة ايضاً ان تسن نظاماً يجبر

الاولاد على الحضور الى المدارس

وعلينا ان نبحث الآن في امرين اولهما ما هي درجات التعليم التي يطلب من الحكومة القيام بها في مدارسها والثاني ما هي الدرجة التي يطلب من التلميذ الوصول اليها قبل ان يترك المدرسة اما الجواب عن الامر الاول فسأذكره ملخصاً في آخر كلامي واجيب عن الثاني بانهُ ليس من المحتم على التلميذ الوصول الى درجة قصوى بل حسبهُ ان يتعلم حتى تصير لهُ معرفة كافية تجعلهُ ينتفع بما يقع حولهُ . وفي اكثر البلدان التي فيها التعليم اجباري يطلب من التلميذ ان يبقى في المدرسة الى ان يبلغ السنة الرابعة عشرة من عمرهِ وهو النظام الذي جرت عليهِ المانيا والتعليم فيها على اتم ما يكون

اما التعليم بموجب هذا النظام فيشتمل على القراءة والكتابة والحساب والجغرافيا وتاريخ الوطن وفي غالب الاحيان الموسيقى والرسم والتمرين اليدوي . واذا تمكن التلميذ من الحصول على هذه الدرجة من التعليم كان لهُ ما يكفيهِ للدخول في معترك الحياة

واريد الآن ان اذكر ملخص نظام مدارس الحكومة وقد اخترت النظام المتبع في الولايات المتحدة لا لانهُ افضل من غيرهِ بل لاني خبير بهِ وهو لا يختلف كثيراً عن نظامات البلدان الاخرى

١ اوقفت الحكومة في اول نشأتها جانباً من املاكها على التعليم واضافت الى ريع هذه الاملاك جزءاً من الضرائب المحصلة من البلاد وسنّت نظاماً يوزع بهِ هذا المال على المدن والقرى . ويحق لهذه المدن ايضاً ان تفرض ضرائب داخلية لنفقة مدارسها الخاصة

٢ لمعارف نائب تنتخبهُ الامة وتحت ادارتهِ نظارٌ آخرون لكل ولاية ناظر وفي كل مدينة مجلسٌ لمعارف مؤلف من ثلاثة اعضاء فاكثر ينتخبون بالاقتراع . ومن واجبات النظار تفتيش المدارس وامتحان المدرسين ومنحهم الشهادات اللازمة ولا يعين مدرس ما لم يكن بيدهِ شهادة من نظارة المعارف

٣ في كل مدينة عدد كافٍ من مدارس الحكومة وهي قائمة في الاماكن المناسبة من احياء المدينة وفي بعض المدن مدرسة عالية يدخلها التلامذة الكبار الذين يستعدون للدخول الى الجامعة . اما المدن الصغيرة والقرى ففيها مدرسة واحدة فقط يحضرها الكبار والصغار من الاولاد وفي بلاد الفلاحين حيث البيوت متفرقة تكون المدرسة في نقطة متوسطة بينها . وهم يسعون الآن في تسيير عربات تمر على بيوت الفلاحين لنقل الاولاد الى المدرسة متى كانت بعيدة عنهم

ومدارس الحكومة في المدن وغيرها مبنية في اجمل المواقع وبناؤها حسن جدًّا وفرشها متقن الى الغاية

٤ ينقسم التعليم الى اثني عشرة درجة او فرقة لكل درجة سنة من سني التعليم فاذا دخل الولد المدرسة في السادسة من عمره وخرج في الثامنة عشرة يكون قد اتم التعليم المفروض في المدارس العليا وصار اهلاً لأن يدخل الجامعة

٥ الغاية من التعليم في هذه المدارس اعداد التلميذ للدخول في الجامعة وسياق الدروس يشمل المواد التي ذكرت آنفًا وهي اللغات والرياضيات والتاريخ والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة وعلوم الدين والآداب والصنائع والرياضة البدنية

ويعتنى بنوع خاص بالاشغال اليدوية فمتى كان الاولاد (اي الصبيان والبنات) بلغوا الثامنة من العمر علّموا الحفر البسيط على الخشب والغاية من ذلك تمرين العين واليد على الدقة والاتقان في العمل ثم تعلم البنات الخياطة والطبخ والصبيان التجارة وغيرها من الصنائع ويطلب هذا التعليم اليدوي من جميع التلامذة اغنياء كانوا او فقراء . وفي السنتين الاخيرتين يعلّم البنات التفصيل والتصوير والصبيان الرسم وقد ادخلت بعض المدارس تعليم الكتابة المختزلة ومسك الدفاتر والتجارة واستعمال الآلة الكاتبة وغير ذلك . فالغاية من التعليم في هذه المدارس ليس فقط اعداد التلميذ لدرس العلوم العالية بل تدريبهُ على الاعمال المطلوبة منهُ في معترك الحياة . وهذه العلوم كلها مجانية واجبارية ويطلب من كل ولد ان يذهب الى المدرسة الى ان يبلغ الرابعة عشرة من عمره على الاقل

٦ ولم تكتفِ الحكومة الاميركية بالمدارس الاعدادية او التجهيزية بل انشأت ايضًا مدارس جامعة تدرّس فيها العلوم والفنون العالية كالهندسة والطب والصيدلة والحقوق وطب الاسنان وغيرها والتعليم فيها مجانيٌّ لكل اولاد الامة من ذكور واناث فيمكن للولد ان يدخل المدرسة في السادسة من عمره ويتعلم على نفقة الحكومة ست عشرة سنة

٧ وللحكومة ايضًا مدارس خاصة لا علاقة لها بالمدارس الجامعة وابوابها مفتوحة لجميع الطلبة . فمنها المدارس الزراعية ومدارس التعدين وغيرها للعميان والصم والبكم ومدارس لاصلاح الاحداث

فهذا النظام في التعليم تقوم الحكومة بنفقاته كلها من ريع الاملاك المخصّصة لذلك ومن الضرائب المفروضة على الاهالي لكن هذه الضرائب خفيفة جدًّا لا تذكر بالنسبة الى نفقات التعليم في المدارس الخاصة

وما ذكر ملخص نظام التعليم في الولايات المتحدة وغيرها ونظام بعض الحكومات في اوربا مثلهُ تقريباً ويجب ان تسير عليهِ كل الحكومات التي ترغب في حفظ كيانها بين الشعوب المتمدنة فان عظمة الحكومة لا تقوم بكثرة جيوشها وقوة اساطيلها وغناها المادي بل برجالها. وما احسن ما قالهُ افلوبوس الفيلسوف اليوناني منذ نحو اثني عشر لاهن ازمير وهو « ان مدينتكم هذه اجمل مدن العالم فالبحر ملكها وبنابيع زيفروس في حوزتها لكن المدن تزدان برجالها اكثر مما تزدان بابنيتها وارونتها وصورها الجميلة فالرجال يشاهدون في كل مكان ويحدَّث عنهم في كل زمان فتعظم مدينتهم بقدر ما يزورون من البلدان »

واختم خطبتي بما قلت اولاً وهو ان عظمة هذه البلاد لا تقوم باستثمار مواردها الطبيعية بل بايجاد الوسائل التي بها تطلق القوى العقلية لتظهر وترتقي ويقوم ذلك بالتعليم والتهذيب

سورية ولبنان

(٦) مشاهدها

بلاد الشام كعبة المسيحيين يحجون اليها من اقطار المسكونة من اوربا واميركا وافريقية ومن بعض البلدان الاسيوية . وكعبة الاسرائيليين وارض الموعد التي يرجون ان يعودوا اليها يوماً ما و يُبيدوا مالك اسلافهم وغاية ما يتمناهُ بعضهم ان يدفنوا في ترابها . وفيها الحرم الشريف والمسجد الاقصى وبها يحجُّ الحج الشامي في ذهابهِ لاداء فريضة الحج . فهي مقصد لامم كثيرة تفد اليها سنوياً لغاية دينية . وفيها من المشاهد القديمة الدالة على سابق عمرانها وسالف مجدها ما لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى فقلعة بعلبك بل هياكلها من ابدع ما بناهُ الناس في كل زمان ومكان . وآثار تدمر من اعظم آثار المدن القديمة وجامع دمشق يكاد يكون اعظم المساجد الاسلامية وكذا الحرم الشريف والمسجد الاقصى . وقد تيسَّر لي في هذه النوبة مشاهدة حصون عكاء ودير القلعة وقلعة بعلبك والجامع الاموي فوصفتها وصفاً موجزاً في ما يلي

حصون عكَّاء

عكَّاء من اقدم مدن الشام ذكرت في سفر القضاة الاول من اسفار التوراة وعدَّها اليونان من مدن فينيقية وغيَّر اسمها في عهد البطالسة فسميت بطلمايس لكن ما لبث اسمها الجديد ان نسي وعاودت الى اسمها القديم . استولى عليها العرب سنة ٦٣٨ للميلاد وتقلبت عليها الثورات خمسة قرون فكانت تعمُّ ثارة وتذل اخرى حتى لم يبقَ فيها شيء يذكر من مشاهدها القديمة